مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

العدوان الكيماوي على الرّيف المغربي (1921 -1927م)

The Chemical Aggression on the Rif Region in Morocco (1927-1921)

أمين سعيدي

طالب الدكتوراه – مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة بالمدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة – (الجزائر)

amine.saidi0207@gmail.com

أ.د. مزيان سعيدي

مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة بالمدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة – (الجزائر)

smeziane68@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 21 / 09 / 2022 تاريخ القبول: 07 / 10 / 2022 تاريخ النشر: 31 / 12 / 2022

الملخص:

نتطرّق في هذه الدّراسة إلى إبراز مرحلة هامة من تاريخ المغرب الأقصى وبالتّحديد منطقة الريف المغربي (1921–1927مـــ)، هذه الأخيرة التّي شهدت قيادة مقاومة عنيفة ضد الحماية الإسبانية بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي، محققّة عدة انتصارات عليها، أهمها معركة أنوال 1921مـــ، وبمقابل ذلك كان رد الإسبان أكثر وحشية باستخدامها الأسلحة الكيماوية .

ونحاول من خلال دراستنا هذه إثبات حقيقة هذا العدوان الكيماوي على الرّيف المغربي، بقيادة إسبانيا وحلفائها (فرنسا، ألمانيا وبريطانيا) المتواطئين معها، سواء بصمتهم عن ذلك أو بدعمهم لها ماديا وبشريا، كما تبيّن هذه الدّراسة دوافع هذا العدوان وأنواع الأسلحة الكيماوية المستخدمة فيه، لنصل في آخر الدّراسة إلى كشف حجم الكارثة النّاتجة عن هذا العدوان الكيماوي. وبالتالي فضح مظالم وهمجيّة القوى الإستعماريّة وتكذيب إدعاءاتها بالحضارة والرّقي والإنسانية من جهة، والعمل على إيصال معاناة الريفيين المستمرة من هذا العدوان إلى يومنا هذا، سواء إلى السلطات المغربية (المخزن) أو المؤسسات القانونية الدولية، لرد الإعتبار لهذه المنطقة من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية:

العدوان الكيماوي– الرّيف المغربي– الغازات السامة – عبد الكريم الخطابي– معركة أنوال.

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

Abstract:

In this study we shed light on a crucial era from the history of Morocco precisely in the region of the Rif (1921- 1927). The Riffians led a violent resistance against the Spanish protectorate headed by Mohamed Ben Abdelkrim Elkhetabi who inflicted several defeats on the Spanish forces. One of the most important battles is the battle of Anwel 1921, however the Spaniards took a savage revenge using chemical weapons.

Our study is attempting to prove that the chemical aggression against the Rif of Morocco led by Spain and its allies (France, Germany and Britain) conspiring with it whether by being silent or by providing material and human help. Furthermore, this study reveals the reasons lies behind this assault and the types of weapons used to show in the end of this study how big the calamity resulted from this chemical aggression was and subsequently disclose the abuse and the cruelty of the colonialists and deny their claims of civilization, nobleness and humanity. On the other hand, it aims to unveil the endless pain and the suffering of the people of the Rif due to the aggression so far whether to the Moroccan authorities (Mekhzen) or the international law institutions to rehabilitate the value of the region .

Keywords: Chemical aggression - Moroccan Rif - Toxic gases - Abdelkrim Elkhetabi – The battle of Anwel.

1. مقدمة:

إنّ الصّراع الإسباني المغربي هو حلقة من حلقات الحروب الصليبية، برزت معالمها منذ سقوط غرناطة سنة 1492مـــ وفرار المسلمين من قهر الإسبان (محاكم التفتيش)، نحو شمال المغرب الاسلامي عامة والمغرب الأقصى خاصة. نتيجـــة لحقـــد الإســـبان علـــى المسلمين، تعرضت مدن المغرب الأقصى لحملات تخريبيّة كمدينة (تطوان)، واحتلال أخرى كمدينتي (سبة ومليلية)، إنتقاما لحضارة الأندلس التّي عمرت أكثـــر مـــن ثمانيـــة قـــرون، لتتواصل حلقات التّوسع الصليبي حينما أعلنوا حمايتهم للرّيف في مطلع القـــرن العشـــريين (1912مـــ). هذه الحماية التّي مورست فيها جميع أســـاليب الإذلال والقمـــع والاســـتغلال، وتطورت الأمور أكثر خاصة بعدما شعر الإسبان بخطورة الوضع في مناطق حمايتهم بعـــد الانهزامات المتكررة التي مني بها جيشهم خاصة معركة أنوال 1921مـــ، ما جعلهم يغيرون استراتيجيتهم الحربية بتطبيقهم لشعار الميكيافيلية الغاية تبرر الوسيلة، فالغاية هـــي إيقـــاف المقاومة الرّيفية وزعيمها محمد بن عبد الكريم الخطابي مؤسس الجمهورية الرّيفية، وبالتالي بسط نفوذهم على منطقة حمايتهم. وأما الوسيلة لتحقيق تلك الغاية فقد تمثلت فـــي اســـتخدام

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الأسلحة الكيماوية (الغازات السّامة)، بين سنوات 1921–1927مـــ، الأمر الذي ترك آثارا فضيعة على المستوى الصحي، الاجتماعي، العسكري، البيئي والنفسي...لازال يعاني منهـــا الرّيفيون إلى يومنا هذا، ومن جهة أخرى سجل هذا العدوان كجريمة ضدّ الانسانية تضـــاف إلى سلسلة جرائم الأوربيين النصارى الاستعماريين في حق المسلمين المستضعفين .

انطلاقا مما سبق يمكن طرح الاشكالية التالية: ما هي حقيقة هذا العدوان؟ وماهي أهم دوافع إسبانيا في استخدامها السلاح الكيماوي على الرّيف المغربي؟ ومـــن هـــي الأطـــراف المسؤولة عن هذا العدوان؟ وما نوع الأسلحة الكيماوية المستخدمة في هذا العـــدوان؟ ومـــا نتائج ذلك؟ هي مجموعة من التساؤلات سنحاول معالجتها في مقالنا هذا.

2. حقيقة العدوان الكيماوي على الرّيف المغربي:

رغم التستّر على القصف الكيماوي الإسباني على منطقة الرّيـــف إلا أن المصـــادر والوثائق الشاهدة خاصة ما كتبه الإسبان وحلفاؤهم (الفرنسيون، الألمـــان، البريطـــانيون)، تثبت وتؤكد تورّط إسبانيا في استخدام هذه الأسلحة مع اعترافهم الصـــريح بجـــرمهم الـــلاّ إنساني في حق السّكان الرّيفيين الأصليّين، وخرقهم للاتفاقيات الدّولية ويمكن تلخيص تلـــك الشهادات فيما يلي[1]:

شهادة الإسباني رامون سندر (Ramon j-Sender) فـــي روايتـــه (إمـــان) ســـنة 1930مـــ، التّي أشار فيها إلى مخلفات الحرب الكيماوية وأثرها على الجنود الإســـبان فـــي صراعهم مع الرّيفيين، كما أن بعض المراقبين العسكريين والطيّارين وثّقوا ذلك مثل: بيدرو توندرا بوينو (Pedro Tonda Bueno) الذّي تحدث في سيرته الذاتية (أنا والحياة)، –التّي نشرت عام 1974مـــ– عن إمطار الطائرات للغازات السّامة وما ترتب عنه مـــن تســـميم للأراضي بالرّيف، كما دوّن عن ذلك إغناسيو هيدالغو دي سيسنيرسو (Ignacio Hidalgo De Cisneros) في سيرته الذاتية بمؤلفه (تغيير المسار)، حيث كشف كيف قـــاد شخصـــيا عددا من الهجمات الكيماوية بمنطقة الرّيف[2].

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

في عام 1990مـ كشف الصحفيان والمحققان الألمان: رولف ديتر مـولر (Rolf Dieter Muler) –من معهد الدّراسات العلميّة للتاريخ العسكري التّابع للجـيش الألمـاني– وروديبرت كونف (Rudibert Kunf) –وهو صحافي ومؤرخ يقيم في مدينة هـامبورغ–، في مؤلفهما: (الغاز السّام ضد عبد الكريم: ألمانيا، إسبانيا وحرب الغاز في المغرب الإسباني 1922– 1927مـ) أنّ القصف بالكيماوي حدث فعلا،[3] كما اطلع كونغ في مدينة هامبورغ على سجلات شركة شتولزنبرغ، التّي شكلت ورقة مهمة في قضـية الغـازات الكيماويـة وعلاقتها بالإسبان، هذا العمل قدّم معطيات مهمة، لأنّه اعتمد على الوثائق الوفيرة والمتاحـة للعموم بمعهد التّاريخ والثّقافة العسكريّة، وكذلك بمعهد تاريخ وثقافات القوات الجويّـة فـي مدريد. ترجم هذا الكتاب إلى العربيّة فحقّق انتشارا واسعا في المغرب عكس إسبانيا.[4]

ومن الشهادات الخاصة المثبتة لقنبلة الرّيف بالغازات السّـامة دراسـة: الإسـباني خواندو باندو (JuandoPando) (التاريخ السري لحرب أنوال) سنة 1999مـ، ودراسـة: كارلوس لازارو أڤيلا (Carlos Lazaro Avila) في مقاله القيم (الملاحة الجويّة العسكريّة الحديديّة بالمغرب 1909–1927مـ)، وكتاب أنخيل قينياس (Angel Vinas) الموسـوم ب (فرانكو وهتلر وانفجار الحرب الأهليّة) سنة 2001مـ، دون أن نغفل عمّا كتبته أيضـا ماريا روسا مادرياكا (Maria Rosa De Madariaga) بعنوان:(المغاربة الـذين جلـبهم فرانكو) سنة 2002مـ.[5]

كما أثبت المؤرخ البريطـاني: سبسـتيان بـالفور (Sebastian Balfour) سـنة 2002مـ من كلية الإقتصاد بلندن في كتابه (العناق المميت المغرب والسير نحـو الحـرب الأهليّة الإسبانيّة)، الإستخدام الواسع النّطاق للأسلحة الكيماوية في حرب الرّيف، متحققا من ذلك بنفسه بعد دراسته للعديد من المحفوظات الإسبانية والفرنسية والبريطانية[6]، وفـي هـذا الكتاب (العناق المميت...) ركز المؤلّف في أحد فصوله على قضية الغازات السّامة، فقـال: أنّ كمية الغازات التي استعملت "مذهلة" وأنّه قد جرى تحضيرها فـي المعمـل العسـكري لامارانيوسا (La Maranosa) بـالقرب مـن مدريـد وفـي أوراش لامايسـطرانثا (La Meastranza) في مليلية وفي عدد من المعامل المدنيّة الإسبانيّة[7].

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

كما لا ننسى تلك الشّهادات المتمثّلة في المقالات التّي كتبها بعد ذلك حول حرب الغازات من قبل أكناسيو ثيمبريرو (Ignaci Cenbrero)، وباكو صطو (Paco Soto)، ورشيد رخا، ومحمد الشامي، وميمون الشرقي، وأحمد الحمداوي، ومصطفى بن شريف[8]، وزكية داود[9]، وعلي الإدريسي، ومحمد بن عمر بن علي العزوزي الجزنائي، وعز الدين الخطابي، ومحمد عبد المومن، وجميل الحمداوي ... وغيرهم .

3. دوافع إسبانيا في استخدام السلاح الكيماوي في منطقة الرّيف:

تكبّد الجيش الإسباني خسائر ماديّة وبشريّة نتيجة الإنتصارات التّي حققها عبد الكريم الخطابي في عدة معارك، خاصة في الإقليم الشّرقي للرّيف كمعركة (أدهار أبران، سيدي إدريس، إغريبن، أنوال، جبل عروس، الكبداني، الناضور، تيزي عزة....)،[10]ففقد الإسبان في هذه المعارك كل المحور الشّرقي للرّيف (ما عدى مليلية)، بعدما انسحبوا منه، وعلى سبيل المثال لا الحصر يقدم لنا المؤرخ الإنجليزي روبيرت فورنو الخسائر الإسبانيّة في معركة أنوال على الشكل التالي: (18000 قتيل وفي مقدمتهم قائد الحملة سلفستري و1100 أسير في مقدمتهم الجنرال نافارو واغتنام 19504 بندقية و352 رشاشة و129 مدفع، إضافة إلى مواد عسكرية أخرى كالملابس والخيام والعربات...)،[11] ومن جهة أخرى فإنّ غنائم الثّوار كانت كبيرة وعظيمة وفي هذا الصدد يقول الخطابي: (ردت علينا هزيمة أنوال بكلّ ما كان يعوزنا لنجهز جيشا ونشبّ حربا كبيرة)[12].

برزت بجلاء الرّغبة في الإنتقام للضحايا الذّين قتلوا في معارك الرّيف –بعد ضغط الرأي العام الإسباني على ذلك– خاصة قتلى جبل العروي، فقد أوردت العديد من جرائد تلك الحقبة توسلات للحكومة لترد باستعمال الغازات السّامة على أهل الريف وذلك ما حصل بعدئذ بإحصاء العشرة آلاف جثة التي كانت متناثرة على جنبات الطريق الرابط بين مليلية وبن الطيب، خاصة وأن بعض الجثث كانت تحمل آثار التعذيب. لقد انمحت المشاعر الإنسانيّة من لدن الإسبان[13].

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

من أبرز نتائج تلك الإنتصارات التّي حققها الرّيفيون بعيدا عن إطار السّيطرة الإسبانية، ظهور كيان سياسي عام1921م في منطقة الرّيف أطلق عليه اسم **جمهوريّة الرّيف** تحت زعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي، والتّي أصبحت تهدّد فعلا التواجد الإسباني في منطقة حمايتهم بالمغرب[14].

كما أن التقرير السّري الذي وضعه الجنرال بكاسو عن هزائم الإسبان في منطقة الرّيف جعل المسؤولين يدركون فضاعت المصيبة، وشاعت في الصحف الإسبانيّة عبارات "المغرب كيس متقوب"،"المغرب مقبرة الشباب الإسباني" [15].

تأثّر الوضع في إسبانيا بالهزائم المتواليّة التّي تكبدها الجيش الإسباني في الرّيف المغربي، ولم يطق الشّعب ولا الحكومة تحمّل الكوارث الدّموية التّي منيت بها قواتهم،[16]ممّا دفع المسؤولين الإسبان إلى عقد عدّة اجتماعات عبر المجالس الوزاريّة والحكوميّة وجلسات البرلمان الإسباني، ناقشت فيها تداعيات حرب الرّيف، وضغطت الصحف الإسبانيّة بدورها على حكومة ألفونسو الثالث عشر[17]من أجل تغيير سياستها وتوجيه ضربة قاضية للمقاومة الريفيّة للإنتقام وردّ الإعتبار للإمبراطوريّة الإسبانيّة التّي مرغ شرفها في وحل منطقة الرّيف، ولو اقتضى الأمر في ذلك استخدام الأسلحة المحظورة دوليا (الكيماوية) لإخماد ثورة الرّيف، ومن هنا أعطيت الأوامر من السلطات المركزيّة بمدريد باستعمال الأسلحة الغازية الفتاكة.

وما يؤكّد هذه الرغبة الإسبانيّة في استخدام الغازات السامة ضد الريفيين ما قرّره المقيم العام بمليلية السيد برينجر أثناء حديثه الهاتفي مع وزير الحربيّة إيزا، وقد أورده المؤرخ الإسباني خوان باندو (Juan Pando) في كتابه:(التاريخ السري لحرب الريف) في شكل حوار يعبّر عن وحشيّة السلطات العسكريّة الإسبانيّة: (يوم 12 أوت 1921م جرى إتصال تلغرافي آخر بين كل من الوزير إيزا وبرينجر، وجاءت نهاية المحادثات على هذا النحو:

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الوزير: ...وبشأن المدفعيّة التّي يشغلني أمرها كثيرا، أودّ القول بأنّ كلّ الطلبات طور الإنجاز، كما قمنا كذلك بشراء عربات مصفحة ومدرعات تستخدم في تركيب غازات خانقة ستحضر هناك في مليلية.

المقيم العام: كنت دائما أعارض استخدام الغازات السامة ضد هؤلاء الأهالي، الآن وقد خدعونا وبعد تصرفاتهم المشينة معنا، فسنستعملها ضدّهم بكلّ سرور.

الوزير: وفيما يخص الغازات فقد فكرت في تشييد مصنع في مليلية، ولك أنت أن تتدبر كيفية استعمالها وتنفيذها، هذا هو كل شيء، وداعا الآن ولك مني أحر السلام.

المقيم العام: صدقني سأستعمل هذه الغازات، أتركك الآن مع أطيب التحيات[18].

وعليه يتضح لنا من كلّ هذا أنّ استعمال الغازات السّامة في حرب الرّيف إستوجبته الهزيمة النكراء للإسبان خاصة في معركة أنوال 1921م، التّي حقّق فيها الخطابي إنتصارا ملحميا كبيرا واستطاع بذلك تأسيس جمهوريته، وعليه فقد أعدّت إسبانيا كلّ ما لديها من قوة بشّرية، ماليّة ومادّية وما تمتلكه من ترسانة من الأسلحة الحديثة الفتاكة لدحر المقاومة الرّيفية قصد الإنتقام من الثوار الريفيين وزعيمهم الخطابي وهذا عن طريق الغازات الكيماويّة السّامة[19].

4. الأطراف المسؤولة عن الحرب الكيماوية في الرّيف المغربي:

إنّ الطّرف الأساسي والمسؤول الأوّل عن الحرب الكيماويّة في منطقة الرّيف هي إسبانيا التّي استعملت الأسلحة الكيماوية المحظورة دوليا، محاولة منها شلّ قدرات المقاومة الرّيفية بقيادة محمد بن عبد الكريم لخطابي بعد معركة أنوال 1921م وإعادة الاعتبار للمملكة الإسبانية آنذاك في تنفيذ سياستها التوسعية وضمان تواجدها في شمال المغرب، وذلك بالاستعمال المفرط للقوة وبشكل ممنهج دون ردّ الإعتبار للمتطلبات الإنسانيّة.

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

بدأت إسبانيا بشنّ حرب شاملة دون تمييز بين المقاتلين والمدنيين مع إستعمال الأسلحة الكيماوية، وكانت فكرة استخدام الغازات السّامة في الرّيف قد ظهرت قبل معركة أنوال 1921م بمدة طويلة، حيث اهتم الملك الإسباني ألفونسو الثالث عشر بتجهيز الجيش بالأسلحة الحربيّة الحديثة جدا،[20] وسعيا منها لتوفير هذه الأسلحة الكيماويّة السّامة، قامت إسبانيا بعقد عدة صفقات أهمها صفقة شتولسنبورغ –سيأتي توضيحها فيما بعد– كما قامت بتشييد مجموعة من المصانع في إسبانيا منها: مصنع المواد الكيماوية في سان مارتين دي لافيقا في الجنوب الشرقي لمدريد،[21] ومصنع آخر في مليلية لنفس الغرض[22].

من الأطراف الأخرى المسؤولة عن هذا العدوان الكيماوي كذلك نجد فرنسا، التّي كان لها دورا مهما في التصدي لزحف المقاومة بعد معركة أنوال، حيث قامت بتعزيز القوات الإسبانيّة وتمكينها من الحصول على المواد الكيماوية. ورغم علمهم باستعمال الإسبان للغازات السّامة إلا أنهم التزموا الصمت لمعرفتهم التامة بقوة المقاومة الريفية، وخطورة قائدها عبد الكريم الخطّابي على الإسبان وعلى الفرنسيين أنفسهم ليس في المغرب فقط، بل في كل مستعمراتها بشمال إفريقيا خاصة (الجزائر وتونس)، بالإضافة إلى صعوبة المنطقة جغرافيا وسرعة إنتقال المقاومة، كلها أسباب دفعت فرنسا لتجاوز مرحلة إلتزام الصمت إلى دعم إسبانيا في عدوانها الكيماوي، وبهذا طلب القائد العسكري (مارشال فليب بيتان) إرسال فوري للتعزيزات من باريس وصرح لـ (النشريّة الحربية الأسبوعية) يوم 4 جويلية حيث قال:(...فلتحقيق سلام سريع وبأقلّ وسائل، وبأقلّ عدد من الضّحايا يجب على فرنسا أن تستعد هي الأخرى لعملية تستعمل فيها الغاز السّام على نطاق واسع كآخر ورقة يمكن أن تلعبها، إذ لم تتمكّن من حسم الصّراع بوسائل أخرى...)[23].

إنّ الأحداث المتسارعة في المغرب فرضت على إسبانيا ضرورة إيجاد حلّ سريع لتوفير الأسلحة الكيماوية، وذلك عبر شرائها بشكل مباشر من المنتجين، وهكذا فإن أوّل شحنة من الغازات السامة تسلمها الجيش الإسباني كانت مستوردة من شركة شنايدر الفرنسية، التّي سلمت لإسبانيا سنة 1921م إثني عشر مدفع من عيار (100/13). إضافة إلى ذلك إشترت إسبانيا (2200) قذيفة فارغة و(50000) لتر من الكلوروبيكرين

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

(Cloropicrina)، كما حصلت على ترخيص يسمح لها بتصنيع قذائف المدفعيّة الثقيلة، وقذائف الهاوتزر في مصنع توربيا (Turbia)، وفي يوم 26 أفريل 1922مـ وصل الغاز السّام إلى مليلية، كان شحن القذائف بالكلوروبيكين يتم في عدد من المنشآت الصغيرة التّي أقامها عدد من الضباط الإسبان بمساعدة تقنيين من شركة شنايدر الفرنسية بالقرب من مليلية[24]، إضافة إلى غاز الكلوروبيكرين المحظور دوليا إقتنت إسبانيا من فرنسا غاز الكلوريد السامة لاستعماله في حرب الرّيف أيضا[25].

و بهذا فإن فرنسا تعدّ طرفا مسؤولا عن جرائم الحرب الكيماوية التّي ارتكبت في منطقة الرّيف مابين 1921– 1927مـ سواء بتستّرها على جرائم إسبانيا من جهة أو بمساعدتها عن طريق تزويدها بتلك الأسلحة من جهة أخرى.

إنّ قلّة إنتاج الأسلحة الكيماوية لدى الإسبان بسبب ضعف مستواهم التّقني مقارنة بأنجلترا والمانيا وفرنسا.هذا الواقع جعل هوغو شتولزنبرغ (Hugo Stoltzenberg)[26] يظهر على السّاحة لمساعدة الإسبان فاعتبر ذلك فرصة لخرق تلك البنود التي فرضها المنتصرون عليهم بعد الحرب العالمية الأولى، بموجب معاهدة فرساي سنة 1919مـ خاصة في ميدان (تصنيع السّلاح)، وهذا قد ورط ألمانيا في الحرب الكيماوية على الرّيف المغربي.

إنّ جهود الأمير فرناندو دي بفاريا إي برمون ، قريب الملك ألفونسو الثالث عشر وصهره، والذي كان يبرم الصفقات نيابة عنه، هي التّي أدت إلى لقاء شتولزنبرغ بالملك[27] في أحد أيام خريف 1921مـ . نتج عن هذا اللقاء إتفاقا إلتزم فيه شتولزنبرغ بإنشاء مصنع ينتج الغازات السّامة، أطلق عليه إسم: (المصنع الوطني للمنتجات الكيماوية ألفونصو الثالث عشر)، شهر جويلية سنة 1922مـ. توجّب على شتولزنبرغ أن يوفر (75%) من قيمة العقد قبل أن تبدأ أعمال التشييد في الموقع القريب من لامارنويسا، وحسب العقد فعلى شتولزنبرغ أن يبدأ أعمال التشييد في غضون سبعة أشهر من إستلامه الأرض التي سيقام عليها المصنع، هذا الأخير سيعمل على إنتاج (1000) كيلوغرام من غاز الخردل، و(1500) كيلوغرام من الفوسجين، و(1250) كيلوغرام من الأتيلديكلوروسينا[28].

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

لقد وفرت ألمانيا الكميّات اللاّزمة لإسبانيا من الغازات السامة التّي تستخدمها في حرب الرّيف وأهمها: (اللوست– الفوسجين– الكلارك) من مدينة (برولوه) الألمانية، كما تمّ تشييد معمل (اللوست) سنة 1923مـ بمليلية، وقد قامت ألمانيا ممثلة بشركاتها (شركة LKW، وشركة دوني وينكرس) –المختص في صنع الطائرات البحريّة من نوع (قال) ذات الاستعمال البحري– بتقوية السّلاح الجوي الإسباني فكانت هذه الطائرات تحط بقاعدة مارتشيكا (Marchica) المحادية لمدينة مليلية المحتلة، وقامت بغارات إستعملت من خلالها قنابل كيماوية[29].

وعليه يمكن القول أنّ ألمانيا لعبت دورا مميّزا عن باقي الدّول لكونها طرفا رئيسيا وأساسيا في حصول إسبانيا على ما يلزمها من أسلحة كيماوية مع الحفاظ بالسرية التامة، ولم يقتصر التعاون على مجال صنع الغازات الكيماوية والعتاد الحربي فقط بل تجاوزها إلى تجنيد بعض الألمانيين في قوات اللفيف الأجنبي الإسباني[30].

ومن الأطراف المسؤولة عن الحرب الكيماوية في الريف أيضا دولة بريطانيا التّي لم تكن بمنأى عن هذه الحرب، فالكفاح الرّيفي آنذاك شكّل خطرا على مصالح بريطانيا التي كان لها نفوذ في الشّرق الأوسط، فليس من مصلحة بريطانيا أن تنهزم إسبانيا في المغرب الأقصى، ثم تنسحب لتترك المجال بشكل نهائي لفرنسا، وهذا ما عبّر عليه الوزير الدائم للخارجية البريطانية السيد: واتسن تشمبرلين في أفريل 1926مـ: (...لسنا على إستعداد أن نترك الشاطئ المتوسطي للمغرب، وخصوصا الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق بين أيدي قوة عظمى ...وإذا ما أدت النّجاحات الرّيفية إلى طرد الإسبان من منطقة الريف المغربية، فمن شأن ذلك أن يؤدي إلى بروز وضع محيّر،...وأخيرا نحن لسنا على إستعداد لرؤية الفرنسيّين أو الإيطاليّين يستقرون في سبته ومليلية...)[31].

فقد اكتشفت المخابرات البريطانية الصفقات التيّ تمت بين إسبانيا وألمانيا، غير أنّها دائما كانت تسعى للحفاظ على توازن القوى ، فبريطانيا لم تكتف بالتزام الصّمت فقط، بل ساهمت في تدعيم تواجد الإسبان بشمال المغرب –منطقة الرّيف– عسكريا، إذ تدخلت لحلّ مشكل يتعلق أساسا بصنع القنابل حيث تمّ تزويد الإسبان بـ (مشعال) إنجليزي الصنع

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

حساس للغاية، وفي يوم 26جوان 1923مـ تمّ تنظيم إستعراض للمنجزات العسكرية بأرنخويس حيث تمّ التّعريف بـ (مشعل اللغم الإنجليزي) وتجريب قنبلتين معبأتين بغاز الكلوريكرين[32].

لقد كانت الحكومة البريطانية على تواطئ تام مع إسبانيا وفرنسا من أجل حسم المعركة بكل الوسائل، ورغم رسائل الإحتجاجات التي ترد على القنصليّة البريطانيّة حول استعمال إسبانيا وفرنسا للغازات السّامة، إلاّ أنّها لم تحرك ساكنا، ولم تصدر أي بيان تنديدي أو استنكاري باعتبارها مشاركة وموقعة على معاهدة فرساي 1919مـ، وكذا بروتوكول جنيف 1925مـ، والذّي جاء فيه أنّ الموقعين: (يعتبرون أن استعمال الغازات الخانقة أو السّامة وكلّ ما شابههما من مواد سائلة أو معدّات في الحرب أمر يدينه عن حق الرأي العام في العالم المتمدّن)[33].

ومن هذا ثبت تورّط القوى الأساسيّة إسبانيا وفرنسا بمشاركة ومساهمة ألمانيا وبريطانيا (كلّ حسب مصلحته)، في استخدام الأسلحة الكيماويّة (الغازات السّامة) المحظورة دوليا في حرب الرّيف على شعب مسالم وضدّ إقليم تابع لدولة ذات سيادة، فأين هي الإنسانية والحضارة والتمدن و....التيّ يدّعونها؟

5. أنواع الأسلحة الكيماوية المستعملة في حرب الرّيف:

إستعمل الإسبان في عدوانهم الكيماوي على الريف المغربي العديد من الغازات السّامة والمواد الكيماوية الجرثوميّة، كما استخدمت الطائرات الخاصة لرمي السموم الكيماويّة بالرّيف لأول مرة في التّاريخ بعد أن كانت تستعمل برا بواسطة المدافع والرشاشات الغازيّة.

ومن الغازات المستخدمة في حرب الرّيف نذكر غاز اللوست (غاز الخردل أو الأبرايت أو الأصفر)، الذّي كان له آثار تدميريّة قوية في الرّيف وتأثيرا سلبيا على صحة المواطنين وبيئتهم، هذا الغاز الذّي قال عنه المهندس الألماني شتولزنبرغ –المشرف على تصنيع الغازات السّامة بإسبانيا سنة 1924م– : (أن واحدا من خمسمائة (500/1) من نقطة غاز اللوست تكفي لتوفير شروط تعفن اللسان الذي يؤدي إلى الموت)[34]، واعتبره الإسبان (غاز اللوست) من بين الغازات السّامة الناجعة في دحر الرّيفيين، وهو غاز سام يسبّب

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

حروقا وتقرحات والعمي وأضرارا شديدة بالجهاز التنفسي.كان يستورد هذا الغاز من ألمانيا، فقد وصلت أول شحنة منه إلى مليلية في أفريل 1924مـــ. يعبأ هذا الغاز بشكل أساسي في القنابل المحمولة جوا، والتّي كان يرمز لها بـــ (C-1) وزنها الكلـــي (50 كلـــغ) والـــوزن الصافي للغاز (12كلغ)، وكذلك في القنابل التي كان رمزها (C-2) وزنها الكلي (10كلـــغ) والوزن الصافي للغاز السام (3.2كلغ)، وقد بلغت الكمية المنتجة من غاز اللوست (الخردل) الموجهة للقصف حوالي (55طن)[35].

كما استخدمت غازات سامة كانت تركب بطريقة كيماويـــة مهجّنـــة فمـــثلا مـــزج (كبريتور مع كلور) يولد غازات مميتة وهذا ما أشار إليه خوان باندو في كتابـــه (التـــاريخ السري لحرب الريف)، وذكر أيضا أنّ تأثيراتها خطيرة جدا فهي تستهدف الخلايا التنفســيّة فتدمرّها، كما تحدث قروحا خطيرة على الجلد و التسبب في العمي الجزئي أو الكلي[36].

لقد كثّفت إسبانيا من استعمال غاز الأكسول، التّي تسلّمت منه 20طنا من ألمانيا على وجه السرعة لقنبلة الريف ومحاصرته عسكريا وتطويقه من جميع الجهات لإرغامـــه علـــى الإستسلام بعد أن تضاءلت فعالية الغازات السّامة الأخـــرى التـــي اســـتخدمت فـــي صـــد المقاومة[37].

من بين الغازات السّامة المستعملة في الرّيف أيضا غاز الكلوروبيكرين ذو المفعـــول الشّديد، حيث يسبب التّهيج والعطاس وانقطاع النّفس، بل وحتى الموت في حالة الإستنشـــاق المتكرر، وقد أعطى المندوب السّامي ريكاردو بورغيطي (Ricardo Borgueti) موافقتـــه على إستعمال قذائف الكلوروبيكرين يوم 17 سبتمبر 1922م، ومن خلال ســـجل خـــدمات الملازم إيلوي دي سييرا (Eloy De La Sierra) الذي كان شاهدا على تلك الأحداث، : " علمنا أنّ قذائف المدفعيّة المزودة بغاز الكلوروبيكين استعملت في الميدان لأول مرة يـــوم 19 ديسمبر 1922مـــ، وذلك في إحدى عمليات القصف التّي استهدفت موقع تيزي عزا مع احتمال أنها ربما استعملت قبل هذا التاريخ".

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

إستخدم الإسبان قنابل تحمل غاز الكلوروبيكرين السّام ذات الرمز (C-4) وزنها (10كلغ)، فأرسلت (355) قنبلة منها إلى تطوان، فقصفت بها قبائل جبالة في معارك شفشاون شهر نوفمبر 1924مـ، و(150) قنبلة أخرى قصفت بها المنطقة الشّرقية للرّيف.

إضافة إلى هذا كلّه استخدم الإسبان قنابل مزودة بغاز الفوسجين وهو غاز خانق ومميت، ومن خلال وثائق أرشيف التّاريخ والثقافة العسكريّة (IHCM) يمكننا أن نتتبع مصير (300) قنبلة شحنت بهذا الغاز السّام خصصت للقصف الجوي. هذه القنابل كانت تزن (26كلغ) ورمزها (C-3) تمّ إرسالها إلى مليلية يوم 22 جوان 1923مـ، حيث تمّ إلقاء (45) قنبلة، وقد توقف إستعمال هذا النّوع إلى غاية 21 ماي 1924مـ حيث تمّ إلقاء (14) قنبلة أخرى على منزل عبد الكريم الخطابي في أجادير، وفي شهر ماي دائما تمّ إلقاء (قنبلتين يوم 24) و (6 قنابل يوم 27) و(6 أخرى يوم 28)، كلّها استهدفت أجادير وضواحيها، أمّا القنابل (226) المتبقية من هذا النّوع فقد أرسلت إلى العرائش، واستعملت فيما بعد في المواجهات التّي قادها بريمودي ريفيرا (Primo De Rivera)[38].

لقد قامت إسبانيا بإمطار الرّيفيين بوابل من القنابل الكيماوية (الغازات السّامة)، المختلفة الأوزان والتي بلغت حسب الإحصائيات كالتالي: (50000) لتر من الكلوروبيكرين، أي ما يعادل (65طن)، بالإضافة إلى (4طن) من غاز الفوسجين، و (55طن) من غاز الخردل (اللوست) على أقصى تقدير. هذه الكميات لا تتجاوز كليا حوالي 125طن[39]. هذا الإمطار قامت به طائرات مستوردة من فرنسا، ألمانيا والدنمارك كطائرة (كولياث Goliath) وطائرة (فرمان Farman f-60) و(بريكَيت Breguet XIV) و(DH-9) و (DD-4) والتّي اتخذت من مطارات (الناظور– تطوان– العرائش) قاعدة لها، وتستخدم الغازات المصنعة بمليليّة أو المحملة بالسّفن إلى مدينة سبته [40].

أصابت هذه الأسلحة الموجّهة إلى الرّيف المغربي كل من الناظور، تمسمان، الحسيمة، بني ورياغل، تاركَيست، شفشاون، تطوان، طنجة والعرائش، بيد أن المناطق التي تلقت ضربات غازية كثيرة هي مناطق القيادة ببني ورياغل وتمسمان، ويعني هذا أن القنابل الكيماويّة كانت هادفة وانتقاميّة تختار أماكن المقاومة والقيادة العسكرية والأسواق العامة،

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وتعدّ تيزي عزة المنطقة الرّيفية الأولى التّي تلقت هجوما عنيفا بالأسلحة الكيماوية بعد أن أظهرت مقاومة شديدة كادت أن تقضي على الوجود الإسباني بالرّيف، وهذا ما أكّده لويس سيلفيلا (وزير سابق للبحرية) حيث قال: " أحدثت التّجارب البسيطة التّي تمت في تيزي عزة باستعمال قذائف المدفعيّة رعبا كبيرا ، وطلب سيلفيلا بانعقاد مجلس الوزراء والعمل على حلّ الملف العالق والذّي يخص شراء وإرسال خمسة آلاف من قنابل الغاز السّامة ...واعتبرها الحلّ السريع وستسمح هذه المبادرة بإنقاذ حياة رجالنا...)[41].

كما وجب التذكير بأنّ هذه الغازات السّامة استعملت في التجمعات الكبرى كالأسواق مثلما وقع في سوق (شفشاون) وأسواق (غمارة) ، كما أطلقت الطائرات على سوق الأربعاء تاوريت بوادي النكور غازات سامة، ودمرت بهذه الغازات قرى بني زليعة وواد لاو في ناحية غمارة، ولم تنته إسبانيا من إطلاق هذه الغازات الكمياويّة إلا في سنة 1927م عندما أعلن الجنرال سان خورخو (Sanjurjo) من باب تازة بشكل رسمي نهاية الحرب في منطقة الرّيف[42].

6. نتائج العدوان الكيماوي:

إعتمادا على المعطيات المتوفرة لدينا، لا يمكننا التحديد الدقيق لعدد الضحايا ولا لحجم الخسائر التّي نجمت عن استعمال هذه المواد الكيماويّة، وإن كنّا متأكدين أنّ الدّمار في الرّيف كان شاملا، فالمواد الكيماويّة أضرت بالمقاومين والسّكان وبالحيوانات والبيئة، كما أن الأضرار لم تكن ظرفية ومؤقتة، بل اتخذت طابعا مستمرا.

وقياسا مع حجم المواد الكيماويّة التّي استعملت فإن عدد الضّحايا قد يفوت عشرات الآلاف، وأنّ الجرحى والمصابين فاق عدد القتلى بكثير، فالإسبان بعد الإحتلال حرموا السكان من التطبيب ممّا زاد من حجم الخسائر.

وما يؤكّد هذا قول ولتر هاريس مراسل جريدة التايمز: "دمرت الحرب منطقة الرّيف واجتاحت أرجاءها الأمراض والمجاعة...استعمل الإسبان الغازات السّامة التي كان لها أثرا كبيرا على معنويات المقاتلين". أمّا الماريشال ليوطي فكتب يقول: " أضرّت الطائرات الإسبانيّة بشكل كبير القرى المتمردة باستعمال غاز Lacrymogène والغازات الخانقة ...

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وكثيرا من الأطفال والنّساء قصدوا طنجة لتلقي العلاجات الضـــرورية"، وذكـــر مســـؤول بريطاني كان قد زار منطقة الرّيف في جانفي 1926مـــ:"إنّ عددا كبيرا من الرّيفيين قتلـــوا عددا آخر قصد العلاج، معظمهم شبه معمي وجهازهم التّنفسي مصاب بشكل بليغ "، وصرح القنصل الألماني بتطوان سنة 1927مـــ بمايلي: "لم تكتف القوات الإسبانيّة بتـــدمير القـــرى والمناطق السكنية ...بل مارست عمليات التقتيل الجماعي وهي ممارسات، يمكـــن وصـــفها ببساطة بكونها إبادة شاملة للسكان"[45].

إنطلاقا ممّا ذكرناه، يمكننا تلخيص حجم الكارثة الناتجة عن العدوان الكيماوي على الريف وفق ما يلي [46]:

– ساهمت في إبادة أكثر من 3000 قتيل، كما أثبت ذلك محمد سلام أمزيان صديق عبد الكريم في القاهرة[47]، ولم تقتصر هذه الإبادة على الرّيفيين فحسب، بل أصـــابت حتـــى الجنود الإسبان بسبب الرّياح التي كانت تجري عكس ما يشاءون، أو أثناء تحطم طـــائراتهم بفعل الأخطاء التقنية والضربات المضادة من قبل المجاهدين، ومن أمثلة ذلك ما وقع بمطار تاويمة بالناظور، وما حدث من تسربات غازية مرات كثيرة داخل مصانع الغازات الكيماوية.

– هجرة الكثير من الرّيفيين من منازلهم وقراهم وحقولهم هروبا من الغازات السّامة، ليلجئوا إلى الكهوف، المغارات والمخابئ، واتجه آخرون إلـــى المنـــاطق الغربيـــة القريبـــة كتطوان وطنجة والعرائش أو إلى مناطق النفوذ الفرنسي كفاس ومكناس ووجـــدة وبركـــان ومنهم من اتجه خارج الرّيف والمغرب نحو الجزائر.

– أدّت هذه الغازات السّامة إلى إجهاض المشروع التّحرري الذّي قاده الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، فاستسلامه كان بسبب الإستعمال المفرط للمواد الكيماويّـــة، التّـــي عرقلت المقاومة الرّيفية فتأثر ميزان المعركة لصالح الإسبان. فالمجاهـــدون الرّيفيـــون لـــم يستطيعوا الوقوف في وجه الغازات السامة التي كانت تسمى عندهم بلفظة (أرهاج/ الســـم)، وقد ساهمت هته الضربات في إضعاف المقاومة الرّيفية وبث الفزع في صـــفوف الأهـــالي الرّيفيين خصوصا بعد أن تكثف القصف الجوي بالغازات السّامة والمحرقة الذّي كانت تقوم به أسراب من طائرات القوّتين الحليفتين[48].

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

– سبّبت هذه الغازات السّامة في تشويه الكثير من الرّيفيين عضويا وإصابتهم بالعمى واسوداد جلودهم وتساقط الشعر والجلد بفعل الحرائق الفسفورية، وكثرة الحروق وارتفاع درجة الحمى، والإصابة بالأوجاع المعوية، والتأثير سلبا على الجهاز التنفسي بما فيه الصدر، الفم والأنف، بالإضافة إلى الأجهزة العضويّة الأخرى كالجهاز الدّموي والتّناسلي والهضمي[49]، وما زاد الأمور سوءا عدم استجابة الصليب الأحمر للنداءات المتكررة من أجل إنقاذ الأبرياء ومعالجة المرضى، وللحدّ من تأثيرات هذه المواد السّامة لجأ الرّيفيون إلى استعمال أساليب تقليدية (ليمون، ثوم، الزيت الساخن، الثوب المبلل، الجير، الأعشاب...) ولكن بدون جدوى[50].

- أدى هذا العدوان الكيماوي إلى إصابة الرّيفيين بمرض السّرطان، فقد صرح أطباء الإنكولوجيا بأنّ 50% من مرضى السّرطان بالمغرب من منطقة الرّيف، وأغلبهم من الأطفال والنّساء والشيوخ[51]، وقد أصبحت الأمراض السرطانية تنتقل وراثيا وجينيا عبر تواتر الأجيال، وتنتقل من البيئة الحيوانيّة والنباتيّة والهوائيّة إلى الإنسان عبر العصور من الأجداد إلى الأبناء والأحفاد، ويورد الباحث مصطفى بن شريف في كتابه (الجرائم الدولية وحق الضحايا في جبر الضرر: حالة حرب الرّيف)، فيقول: " إنّه خلال العقود العشرة التي تلت إلقاء غازات سامة من طرف ضباط إسبان على مقاومي الريف، تفشّت في المنطقة تحديدا أمراض السّرطان المختلفة بنسبة كبيرة، تمثّلت في وجود مابين 60% إلى 80% من حالات السّرطان في المغرب في منطقة الرّيف، التّي تسجل أعلى معدلات للإصابة بالسرطان في العالم" . هذا ما يؤكّده الباحث ميمون شرقي في كتابه (أسلحة كيماوية للدّمار الشّامل على الرّيف) بقوله: " إنّ سبب الإصابات بالسرطان بين أهل الرّيف يرجع إلى إلقاء العشرات من القنابل الكيماويّة من طرف الإسبان على حدود منطقة أربعاء تاوريرت، مبرزا أنّه في كل العقود التّي مرّت مازالت مخلفات تلك الغازات تتسبب في السّرطان بالمنطقة" [52].

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

– إنّ إستعمال الغازات السّامة الملوّثة نتج عنه إجتياح الرّيف صيف 1925مـ وباء التيفويد، الذّي أهلك العديد من السّكان وكان له دوراً مباشراً في تهجير قرى بأكملها، ويعود السّبب إلى جهل النّاس بطبيعة هذا الغاز وقدرته على الإنتشار الواسع ومن ثمّ حصد الكثير من الأرواح[53].

– أدى هذا العدوان إلى تلويث البيئة وذلك عن طريق تدمير السبل بالغازات السّامة ، وتسميم المياه والأجواء والهواء، والقضاء على المزروعات والثّمار وإحراق الغابات وتخريب البنيات التّحتيّة، وبهذا فقد تقهقرت البيئة وجميع مكوناتها النباتيّة والحيوانيّة والمائيّة فنتج عن هذا أن كثرت العقارب المسمومة في الرّيف والحشرات الجرثوميّة[54].

– سببّت الغازات السّامة والمبيدات الكيماويّة للمصابين بحالة نفسية مضطربة (غير مستقرة)، وهذا ما أكّده الدّكتور أحمد الحمداوي المتخصص في علم النفس المرضي، حيث حدّد مجموعة من الإنعكاسات النفسيّة والإجراميّة للسلاح الكيماوي على سكان الرّيف كالخوف الكثير، الشّعور بعدم القدرة، الإحساس بالفزع، الرّعب، الإثارة المفرطة، الحلم المتكرر للحدث والإحساس بالضيق، ظهور إنطباعات أو تصرفات مهيّجة مفاجئة، بلورة شعور الإبتعاد عن الآخرين، و عدم الإستثمار النفسي مثل عدم القدرة على بناء المستقبل والنّجاح في مهمة من المهام، ومشاكل الإنخراط في السّير العادي للحياة[55].

– من نتائج هذا العدوان الكيماوي أيضا ، أنّه أثبت أن دولة إسبانيا وحلفائها (فرنسا، ألمانيا وبريطانيا) دول همجّية متوحشّة لا حضارة لها ولا أخلاق، وما تدعيه من مدنيّة وازدهار تقني لا تستفيد منه سوى شعوب هذه الدّول المتغطرسة، والباقي (الرّيف المغربي مثلا) هم عبارة عن رعاع وهمج دون مستوى العرق الأوروبي، وبهذا فقد خالفت هذه الدّول المعاهدات والإتفّاقيات والمواثيق الدوليّة، كاتفاقيتي لاهاي للسّلام (1899– 1907مـ)، ومعاهدة فرساي 1919مـ، وبروتوكول جنيف 1925مـ وراحت تقصف الرّيف بقنابل كيماويّة أنتجت إبادة وجريمة ضد السّلام[56].

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

7. خاتمة:

في الوقت الذّي كنا نعتقد فيه أنّ الاحتلال الإسباني قد ولّى، وأنّ المقاومة الرّيفية صارت مجرد صفحة منيرة في سجل الماضي،نتباهى برموزها التّي سكنت التّاريخ الإنساني، تصدمنا الحقيقة التّي كانت مغيبة في دهاليز الزّمن، بل ويزيد من وقع الصدمة ما يتمخض عنه الواقع من دلائل قاطعة لا حيّز لردها أو دحضها. فما زرعته يد العدو في الماضي من غازات سامة وقنابل كيماوية، يحصده الرّيف المغربي في الحاضر كوارث وفواجع وسرطانات !كما أنّه كُتب عليهم أن يحيوا ماضيهم مرّة ثانية، ليس تداعيا وحلما، وإنّما معاناة وألما.

وإذا كانت مراكش آنذاك (الراضية بالحماية الفرنسيّة والخادمة لها) قد أغمضت أعيُنها عن ذلك العدوان الكيماوي ضدّ منطقة الرّيف بحجة تشكيل الجمهورية الريفية المستقلة، فما هو موقفها اليوم (حكومة المخزن)، من هذا الملف خاصة (قضية التعويضات) وما يعاني منه الرّيفيون من مخلفات تلك الحرب وفي مقدمتها السّرطان .

8._الهوامش:

1- خيسوس ألبرت سالوينيا، (ديسمبر 2017)،"الأسلحة الكيماوية في المغرب"، ترجمة محمد عبد المومن، **دورية كان التاريخية**، العدد 38،ص128.

2- حمداوي جميل ، **العدوان الكيماوي على منطقة الريف**، ط1، دار الريف للطباعة والنشر الإلكتروني، الناظور –تطوان، المملكة المغربية، 2020، ص11.

3- مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة (السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والإجتماعية لثورة الريف الثالثة 1921– 1926)**، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، (د.م.ن)، 2020/2019، ص121.

4- سالوينيا، المرجع السابق، ص128–ص129.

5- جميل الحمداوي، المرجع السابق، ص12.

6- مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية، المرجع السابق، ص121.

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

7- سالوينيا، المرجع السابق، ص129.

8- رشيد رخا وآخرون، **الحرب الكيماوية ضد الريف**، ط1، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2007، ص41.

9- زكية داود، **عبد الكريم ملحمة الذهب والدم**، ترجمة محمد الشركي، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة المناهل، الرباط، 2007، ص33.

10- الطيب بوتبقالت، **عبد الكريم الخطابي حرب الريف والرأي العام العالمي**، منشورات شراع، طنجة، 1997،ص23.

11- روجر ماثيوز، **مذكّرات محمد بن عبد الكريم الخطابي**، ترجمة عمر أبو النصر، ط1، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 2005، ص169.

12- علال الفاسي، **الحركات الإستقلالية في المغرب**، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948، ص132.

13- سالوينيا، المرجع السابق، ص129.

14- الخطابي محمد بن عبد الكريم، **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الإستعمار 1912-1927**، ط1، تحقيق علي محمد داهش، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010، ص105.

15- الوزاني محمد حسن، **مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية حرب الريف**، مؤسسة محمد الوزاني، (د.م.ن)، (د.ت.ن)، ص63.

16- الوزاني، نفسه، ص61.

17- ألفونسو الثالث عشر: ولد في مدريد 1886، إمتدت فترة حكمه من (1886- 1931)، عرفت المرحلة الأولى من حكمه بفقدان إسبانيا لمستعمراتها ككوبا والفلبين في إطار ما عرف بالحرب الإسبانية الأمريكية 1898، ومنذ عام 1902 قبض على أمور الحكم وأبرم الوفاق الإسباني الفرنسي المتعلق بالمغرب الأقصى، توفي بروما، 1941. أنظر: جلال يحيى، **المغرب الكبير في الفترة المعاصرة وحركات التحرر والإستقلال (تاريخ المغرب الكبير من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر)**، ج3، الدار القومية، (د.م.ن)، 1966، ص105.

18- خوان باندو، **التاريخ السري لحرب الريف**، ترجمة سناء الشعيري، ط1، سلسلة ضفاف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008، ص319.

19- Paco Soto : (Gaz Toxique Contre Le Rif), **La Guerre CHimique Contre Le Rif**, P: 73.

20- أحمد الحمداوي،(24 فيفري 2004)،" الإنعكاسات النفسية والإجرامية للسلاح الكيماوي على سكان الريف"، أعمال الندوة الدولية حول: **إستعمال الغازات السامة، حرب الريف نموذجا**، الناظور ، ص243.

21- خوان باندو، المرجع السابق، ص321.

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

22- سعيد محمد عبد الكريم الخطابي، أعمال الندوة الدولية حول: **إستعمال الغازات السامة حرب الريف نموذجا**، الناظور، 24 فيفري 2004، إديسيون أمازيغ، 2005، ص19.

23- رود بيرت كونز ورولف دبير مولر، **حرب الغازات السامة بالمغرب عبد الكريم الخطابي في مواجهة السلاح الكيماوي**، ترجمة عبد العالي الأمراني، ط1، منشورات فيدباك، الرباط، 1996، ص18.

24- سالوينيا، المرجع السابق، ص130.

25- ماريا روسا دي ماداریاكا، **محمد بن عبد الكريم الخطابي والكفاح من أجل الإستقلال**، ترجمة محمد أونيا، عبد المجيد عزوزي، عبد الله الرايس، ط1، منشورات تفراز، مطبعة النجاح الجديدة، (د.م.ن)، 2013، ص245.

26- **شتولزنبرغ:** هو المساعد الأيمن للبروفيسور (فريتس هابير)، هذا الأخير تحصل على جائزة نوبل والملقب بـ (أب حرب الغازات السامة)، وكان اسمه ضمن قائمة مجرمي الحرب العالمية الأولى، وهو من اقترح على شتولزنبرغ إعادة استغلال الغازات الحربية في العدوان الكيماوي على الريف. أنظر: كونز ومولر، المرجع السابق، ص59.

27- لقد ألح الملك ألفونسو الثالث عشر منذ 1918 للحصول على الأسلحة الكيماوية من ألمانيا لإعجابه بتقنياتهم الحديثة في صناعة هذه الأسلحة. أنظر: كونز ومولر، نفسه، ص59.

28- سالوينيا، المرجع السابق، ص129.

29- كونز ومولر، المرجع السابق، ص67.

30- عبد العزيز باقية، قراءة في كتاب "حرب الغازات السامة بالمغرب: عبد الكريم الخطابي في مواجهة السلاح الكيميائي"، **أمل**، عدد 12، 1997، ص176.

31- عبد الحق هاروشي: **الولايات المتحدة في مواجهة جمهورية الريف (الخطابي وجمهورية الريف)**، (د.د.ن)، (د.م.ن)، (د.ت.ن)، ص354- ص357.

32- عمر لمعلم، **الحرب الكيماوية ضد الريف معطيات عن الجريمة وانعكاساتها**، مداخلة في ندوة تطوان، 29 أفريل 2010.

33- محمد ياسين الهبطي، **مساهمة في دراسة تاريخ المقاومة المغربية للإستعمار الإسباني (مقاومة مدينة شفشاون نموذجا)**، ط1، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، (د.م.ن)، (د.ت.ن)، ص118.

34- كونز ومولر، المرجع السابق، ص82.

35- سالوينيا، المرجع السابق، ص130- ص131.

36- خوان باندو، ارلمرجع السابق، ص320.

37- أحمد الحمداوي، المرجع السابق، ص39.

38- سالوينيا، المرجع السابق، ص130.

39- يعتبر البعض أن مجموع الأسلحة الكيماوية المستخدمة في منطقة الريف والبالغ (125طن) رقما تافها إذا ما قورن بـــ (150000طن)، التي إستعملها المتحاربون إبان الحرب العالمية الأولى والتي ألقي معظمها على شمال شرق فرنسا وعلى منطقة الفلاندز.أنظر: سالوينيا، المرجع السابق، ص132.

40- سعيد محمد عبد الكريم الخطابي، **الحرب الكيماوية ضد الريـــف**، مطبعة بني يزناسن، ســـلا، 2007، ص17.

41- خوان باندو، المرجع السابق، ص320.

42– Maria Rosa de Madariaga et Carlos lazaro Avila: (la Guerre chimique dans le Rif (1921-1927) Etat de la question), **la Guerre chimique contre le Rif**, p:37.

43- هناك من المؤرخين من يريد تخفيف جريمة إسبانيا في الريف المغربي، فيذكرون أن عدوانها لم يكن القصد منه قصف المدنيين بشكل متعمد بل لترهيب وتخويف السكان، وتحطيم معنويات القبائـــل المتمـــردة، وإعاقة نشاطها الإقتصادي، فركزوا في عدوانهم على المصانع وطرق المواصلات والمزروعات والمواشي والأسواق، فالأخيرة مثلا كان يجري قصفها بقنابل لا تنفجر بشكل تلقائي لإرهاب المتسوقين ولم يكن الهدف إبادة السكان، وقد كانت المحركات ذات الضجيج العالي التي زودت بها الطائرات البطيئة لتلك الفترة كافيـــة لإنذار السكان حتى يبتعدوا عن الأسواق التي كانت ستتعرض للقصف. أنظر: سالوينيا، المرجـــع الســـابق، ص131.

44- سعيد محمد عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص19- ص20.

45- عمر لمعلم، المرجع السابق (المداخلة).

46- إن البعض ورغم بشاعة ما وقع لا زال يعتبر أن استعمال المواد الكيماوية بالرّيف كان محدودا جـــدا في الزمان والمكان، ولم ينتج عنه تدمير للبيئة، فالمناطق الفلاحيّة بالرّيف صالحة للزراعة وتدر منتجـــات جيدة، وعدد الضحايا لم يتجاوز بضعة قتلى وهم من المقاتلين، ولم يسقط أحد من الأطفـــال ولا النســـاء ولا المسنين . أنظر: نفسه.

47- محمد سلام أمزيان، **عبد الكريم وحرب الريف، مطبعة المدني**، القاهرة، 1971، ص249

48- عز الدين الخطابي، **محمد عبد الكريم الخطابي القائـــد الـــوطني**، منشـــورات تيفـــراز، الحســـيمة، المغرب،(د.ت.ن)، ص57.

49- علي الإدريسي، **عبد الكريم الخطابي التاريخ المحاصر**، ط1، منشورات جريدة تفـــراز، مطبعـــة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ص93.

50- عمر لمعلم، المرجع السابق (المداخلة).

51- علي الإدريسي، المرجع السابق ص65.

52- أكدت مؤلفة كتاب (إسبانيا والريف..أحداث تاريخ شبه منسي) **ماريا روسا** ، أنه من السهل عاطفياً على المغاربة اتهام الجيش الإسباني في تلك الحقبة الزمنية بأنه ألقى غازات كيماوية سامة أصابت السكان والمواليد والأجيال المقبلة بأمراض السّرطان، لكنه من الناحية العلمية لا يمكن إثبات ذلك وفق تعبيرها.كما اعتبر **(سالوينيا)** الإدعاء بأن منطقة الريف تعرف نسبة إصابات بالسّرطان أكثر من باقي المناطق المغربية بسبب الغازات التي ألقيت على المنطقة خلال عشرينيات القرن الماضي ادعاء باطل، خصوصا عندما نقارن ما وقع في الريف مع ما عاشه سكان شمال شرق فرنسا ومنطقة الفلاندرز من أهوال، وهؤلاء لا يصابون بالسّرطان بنسبة غير طبيعية رغم أن الكميات التي ألقيت عليها كميات تفوق ما ألقته إسبانيا على منطقة الحماية في الريف بألف مرة.

53- سعيد محمد عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص17.

54- علي الإدريسي، المرجع السابق، ص96.

55- أحمد الحمداوي، المرجع السابق، ص40- ص41.

56- محمد أمزيان، " المسؤولية القانونية الدولية للحرب الكيماوية في شمال المغرب بين سنتي 1921-1927، **مجلة جيل حقوق الإنسان**، جامعة محمد بن عبد الله فاس، المغرب، عدد 29، (د.ت.ن)، ص113.

9. قائمة المراجع:

المصادر:

- الخطابي محمد بن عبد الكريم ، **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الإستعمار 1912- 1927**، ط1، تحقيق علي محمد داهش، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010.

- الفاسي علال ، **الحركات الإستقلالية في المغرب**، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948.

- محمد سلام أمزيان، **عبد الكريم وحرب الريف، مطبعة المدني**، القاهرة، 1971.

- الوزاني محمد حسن، **مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية حرب الريف**، مؤسسة محمد الوزاني، (د.م.ن)، (د.ت.ن).

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

المراجع بالعربية:

- الإدريسي علي، **عبد الكريم الخطابي التاريخ المحاصر**، ط1، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007.
- بوتبقالت الطيب، **عبد الكريم الخطابي حرب الريف والرأي العام العالمي**، منشورات شراع، طنجة، 1997.
- حمداوي جميل ، **العدوان الكيماوي على منطقة الريف**، ط1، دار الريف للطباعة والنشر الإلكتروني، الناظور –تطوان، المملكة المغربية، 2020.
- الخطابي عز الدين ، **محمد عبد الكريم الخطابي القائد الوطني**، منشورات تيفراز، الحسيمة، المغرب، (د.ت.ن)،
- الخطابي سعيد محمد عبد الكريم ، **الحرب الكيماوية ضد الريف**، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2007.
- خوان باندو، **التاريخ السري لحرب الريف**، ترجمة سناء الشعيري، ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008.
- داود زكية، **عبد الكريم ملحمة الذهب والدم**، ترجمة محمد الشركي، مطبعة المناهل، الرباط، 2007.
- رود بيرت كونز ورولف دبير مولر، **حرب الغازات السامة بالمغرب عبد الكريم الخطابي في مواجهة السلاح الكيماوي**، ترجمة عبد العالي الأمراني، ط1، منشورات فيدباك، الرباط، 1996.
- رخا رشيد وآخرون، **الحرب الكيماوية ضد الريف**، ط1، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2007.
- روجر ماثيوز، **مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي**، ترجمة عمر أبو النصر، ط1، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 2005.
- ماريا روسا دي ماداریاکا، **محمد بن عبد الكريم الخطابي والكفاح من أجل الإستقلال**، ترجمة محمد أونيا، عبد المجيد عزوزي، عبد الله الرايس، ط1، منشورات تفراز، مطبعة النجاح الجديدة، (د.م.ن)، 2013.
- مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة (السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والإجتماعية لثورة الريف الثالثة 1921– 1926)**، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، (د.م.ن)، 2020/2019.
- هاروشي عبد الحق: **الولايات المتحدة في مواجهة جمهورية الريف (الخطابي وجمهورية الريف)**، (د.د.ن)، (د.م.ن)، (د.ت.ن).
- الهبطي محمد ياسين ، **مساهمة في دراسة تاريخ المقاومة المغربية للإستعمار الإسباني (مقاومة مدينة شفشاون نموذجا)**، ط1، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، (د.م.ن)، (د.ت.ن).

المجلد: (14)	العدد: (04)	السنة: 2022	صفحات المقال: 250–273	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الدوريات والمجلات:

– باقية عبد العزيز،(1997)، قراءة في كتاب "حرب الغازات السامة بالمغرب: عبد الكريم الخطابي في مواجهة السلاح الكيميائي"، **أمل**، عدد 12.

– خيسوس ألبرت سالوينيا، (ديسمبر 2017)، "الأسلحة الكيماوية في المغرب"، ترجمة محمد عبد المومن، **دورية كان التاريخية**، العدد 38.

– محمد أمزيان،(د.ت.ن)، " المسؤولية القانونية الدولية للحرب الكيماوية في شمال المغرب بين سنتي 1921– 1927"، **مجلة جيل حقوق الإنسان**، جامعة محمد بن عبد الله فاس، المغرب، عدد 29.

الندوات و الملتقيات:

– الحمداوي أحمد، (24 فيفري 2004)، "الإنعكاسات النفسية والإجرامية للسلاح الكيماوي على سكان الريف"، أعمال الندوة الدولية حول: **إستعمال الغازات السامة، حرب الريف نموذجا**، الناظور.

– الخطابي سعيد محمد عبد الكريم ، أعمال الندوة الدولية حول: **إستعمال الغازات السامة حرب الريف نموذجا**، الناظور، 24 فيفري 2004، إديسيون أمازيغ، 2005.

– لمعلم عمر،(29 أفريل 2010)، "الحرب الكيماوية ضد الريف معطيات عن الجريمة وانعكاساتها"، مداخلة في ندوة تطوان.

المراجع بالفرنسية:

– Maria Rosa de Madariaga et Carlos lazaro Avila: (la Guerre chimique dans le Rif (1921-1927) Etat de la question), la Guerre chimique contre le Rif.

– Paco Soto : (Gaz Toxique Contre Le Rif), La Guerre CHimique Contre Le Rif.